مجلة النهضة العلمية

Al-Nahda Scientific Journal

Journal homepage :https://ous.edu.ly/Journal/index.php/OUSJ

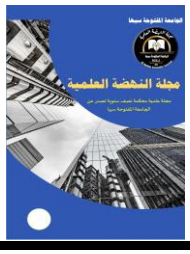

موقف الوالي العثماني رجب باشا من مشروع توطين اليهود في ليبيا 1906 – 1908م

عبدالله إبراهيم الشاعث

جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا

للمراسلة: abdil1979abr@gmail.com

الملخص

خلال الفترة ما بين 1906–1908، حاولت المنظمات اليهودية تنفيذ مشروع يهدف إلى توطين مجموعات من اليهود الأوروبيين في ليبيا، وقد تم إرسال عدد من البعثات الاستكشافية لدراسة بعض المناطق في ليبيا، وقد أبدى الوالي العثماني (رجب باشا) تعاونا ملحوظًا مع هذا المشروع، وذلك لعدة أسباب؛ تتلخص في خوفه من غزو إيطالي محتمل، بالإضافة إلى علاقته الوطيدة مع بريطانيا التي كانت تدعم المشروع اليهودي، ولا يستبعد أن تكون له أيضا طموحات شخصية في الاحتفاظ بالحكم في ليبيا.

الكلمات المفتاحية: ناحوم شلوش – إسرائيل زانغويل – ليبيا – المستوطنات اليهودية

Positions of Ottoman governor Rajab Pasha on the project to resettle the Jews in Libya 1906 – 1908

Abdallah Ibrahim Al-Shaith
University of Omar Al-Mokhtar
*Corresponding Email: abdil1979abr@gmail.com

Abstract

During the period between 1906 - 1908, the Jewish organizations tried to implement a project aimed at localizing groups of European Jews in Libya, and a number of exploratory missions have been sent to study some areas in Libya, and the Ottoman governor Rajab Pasha expressed remarkable cooperation with this project, for several reasons; In his fear of a possible Italian invasion, in addition to his close relationship with Britain, which was supporting the Jewish project, he does not rule out that he also has personal aspirations to retain the rule in Libya.

Keywords: Nahum Schloutz - Israel Zangwill - Libya - Jewish Settlements

مقدمة

في مطلع القرن العشرين كانت ليبيا ولاية عثمانية باسم ولاية طرابلس الغرب، وكانت تتكون من ثلاثة أقاليم رئيسية، هي سنجق طرابلس الغرب ويشمل الأجزاء الشمالية الغربية من البلاد ومركزه مدينة طرابلس، ومتصرفية فزان وتشمل المنطقة الجنوبية الغربية وعاصمتها مدينة مرزق، ومتصرفية برقة وتشمل النصف الشرقي من ليبيا وعاصمتها مدينة بنغازي، وفي بعض الفترات كانت برقة ترقى إلى مرتبة ولاية مستقلة تابعة للباب العالي مباشرة، إن أبرز التحديات التي واجهتها ليبيا خلال تلك الفترة، كانت تتمثل في الأطماع الإيطالية التي بدت واضحة منذ أواخر القرن التاسع عشر، وقد عملت إيطاليا على التمهيد لغزو ليبيا سياسيًا عبر إبرامها للاتفاقيات مع الدول الأوروبية، بحيث تعترف الأخيرة بأحقيتها في ليبيا، واقتصاديًا من خلال نشاط الشركات الإيطالية وافتتاح فرع لمصرف روما في طرابلس وبنغازي، تأتي هذه الأطماع بالتزامن مع

Received 15 April 2025 - Accepted 30 June 2025

حالة من الضعف كانت تمر بها الدولة العثمانية، حيث لم تكن قادرة على حماية ولاياتها من الغزو الأجنبي، بالإضافة إلى تنامي الجمعيات والأحزاب السرية في تركيا نفسها، وأهمها جماعة الاتحاد والترقي، والتي كانت تهدف إلى إحداث ثورة دستورية ضد السلطان عبدالحميد الثاني، ووسط هذه الظروف طرأ خطر جديد يهدد ولاية طرابلس الغرب، وأمنها وسلمها الاجتماعي، ونقصد بذلك مخططات المنظمات اليهودية العالمية، الرامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود في ليبيا، وهو المخطط الذي دعا إليه (إسرائيل زانغويل 1864 – 1926) رئيس جمعية الأراضي اليهودية، والتي تأسست في لندن سنة 1905م، وكانت تحظى بدعم من الحكومة البريطانية، وقد قامت الجمعية بإرسال عدد من الرحالة والبعثات الاستكشافية إلى ليبيا؛ لدراسة مدى صلاحيتها لإقامة مستوطنات يهودية، ومن أبرز هذه البعثات؛ بعثة (ناحوم شلوش) الذي زار ليبيا مرتين: الأولى سنة 1906م، والثانية سنة 1908م، وبعثة (وولتر غريغوري) سنة 1908م والتي ضمت عددًا من علماء الجغرافيا والجيولوجيا والاقتصاد.

ويُلاحظ أن حاكم ليبيا في ذلك الوقت (رجب باشا) – والي طرابلس الغرب – قد اتخذ موقفًا مؤيدًا للمخطط اليهودي؛ حيث استقبل البعثات الاستكشافية اليهودية، وقدم لها التسهيلات، وزودها بالنصائح والإرشادات، وعمل على تأمين تحركات هذه البعثات عبر الأراضي الليبية، وهو موقف مستغرب من حاكم يرى بلاده تُستهدف بمشروع استيطاني أجنبي، يُفترض به أن يتصدى له، كان موقف (رجب باشا) ينطلق من عدة دوافع، منها أنه كان يرى في الاستيطان اليهودي ضمانة لحماية البلاد من الأطماع الإيطالية، لأن بريطانيا كانت تدعم هذا الاستيطان، كما إن (رجب باشا) قد ارتبط بعلاقات وثيقة مع بريطانيا، سواءً بشكل شخصي، أو باعتباره عضوًا في جماعة الاتحاد والترقي، وبناءً على سلوكه في إدارة البلاد فإنه يبدو أن (رجب باشا) كانت له طموحات سياسية في الاحتفاظ بالحكم في ليبيا بمعزل عن الدولة العثمانية، وبالرغم من فشل مخططات الجمعيات اليهودية في ليبيا؛ إلا إن هذه الحادثة التاريخية قد سلطت الضوء على الأخطار الخارجية التي كانت محدقة بالبلاد من عدة جهات، كما عكست أسلوب الحكومة في التعاطي مع هذه الأخطار.

أهداف البحث: نهدف من هذا البحث إلى دراسة موقف الوالي العثماني رجب باشا من نشاط المنظمات اليهودية الهادفة إلى توطين اليهود في ليبيا، والأسباب التي دفعته للتعاون مع هذه المنظمات، وبالتالي فإن الإشكالية التي يسعى هذا البحث لمُعالجتها لا تكمن في المشروع اليهودي نفسه؛ بل في موقف (رجب باشا) من هذا المشروع، وأسباب اتخاذه لهذا الموقف.

أهمية الموضوع: وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتطرق إلى أحد التهديدات الخطيرة التي كانت تستهدف أمن واستقرار ليبيا في مطلع القرن العشرين، كما إن دراسة مسار مخطط التوطين اليهودي، وما تخلله من مواقف هو أيضا على جانب من الأهمية.

منهجية البحث: وقد استخدمت في هذا البحث المنهج السردي التاريخي القائم على العرض التسلسلي للأحداث، كما استخدمت المنهج التحليلي في القسم الثالث الخاص بأسباب تعاون (رجب باشا) مع المشروع اليهودي، وذلك وفق ما تقتضيه طبيعة الموضوع.

خطة البحث: وينقسم هذا البحث إلى تمهيد يتناول فكرة مشروع توطين اليهود في ليبيا، ثم يتلو هذا التمهيد مبحثين، الأول يعرض لموقف (رجب باشا) من البعثات الاستكشافية اليهودية، في حين يناقش المبحث الثاني أسباب تعاون (رجب باشا) مع المشروع اليهودي، وينتهي هذا البحث بخاتمة تلخص أهم الاستنتاجات.

الدراسات السابقة:

لقد سبق أن تمت دراسة هذا الموضوع من جوانب متعددة، ومن بين هذه الدراسات:

- دراسة: (بعيو، مصطفى. 1975). "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" وقد احتوت هذه الدراسة على تمهيدٍ قيّمٍ استعرض أهم مشاريع توطين الأجانب في ليبيا، كما عَرَضت بكثير من التفصيل لمخطط المنظمات اليهودية بخصوص إنشاء مستوطنات يهودية في البلاد؛ غير أن هذه الدراسة لم تناقش – بشكلٍ كافٍ – أسباب تعاون الوالي (رجب باشا) مع المشروع اليهودي، وهي الإشكالية التي حاولت معالجتها في هذا البحث.
- دراسة (محمود، أمين عبدالله. 1983)، "مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى". ومع أن هذه الدراسة قد تناولت مشروع التوطين اليهودي في ليبيا كمسالة جزئية؛ إلا إنها قد سلطت الضوء على مدى التغلغل اليهودي في حكومة ولاية طرابلس الغرب العثمانية (ليبيا).

1. تمهيد: فكرة مشروع توطين اليهود في ليبيا

إن فكرة توطين مجموعات سكانية جديدة في ليبيا لم تكن وليدة أوائل القرن العشرين؛ إذ سبق وأن طُرِحت هذه الفكرة خلال القرن التاسع عشر، عندما لمّح الرحالة الإيطالي (باولو ديلا شيلا) سنة 1819م إلى إمكانية إقامة مستعمرة أوروبية في منطقة الجبل الأخضر، نظراً لخصوبة تربتها واعتدال مناخها الشبيه بمناخ جنوب أوروبا، وكذلك قلة عدد السكان (Della Cella, 1822, 121) وقد تكررت نفس هذه التلميحات لدى الجغرافي الألماني (كارل ريتر) سنة 1822م (Ritter, 1822, 952) ، ومنذ منتصف خمسينيات القرن التاسع عشر طُرحت بعض المقترحات في بريطانيا والتي كانت تهدف إلى تهجير سكان جزيرة مالطا والتي كانت تحت الحكم البريطاني وتوطينهم في برقة، حيث كانت بريطانيا تخطط لإخلاء مالطا من السكان (Dingli, 1878, 3) ربما تجهيزاً لتحويلها إلى وطن ليهود أوروبا، وقد ظل هذا المقترح الخاص بمالطا يتردد في أوساط السياسة البريطانية حتى سبعينيات القرن التاسع عشر، وقد تنبّه حاكم ليبيا (علي رضا باشا) أثناء ولايته الأولى (1866 – 1870 م) (الزاوي، 1970، 259 – 260) إلى هذه المخططات سنة 1869م،

فأطلق بدوره مشروع إعمار سواحل برقة، وخاصة المناطق قليلة السكان، وكان تركيزه على طبرق وميناء البمبة، كونها مناطق قليلة السكان، وبعيدة عن العاصمة طرابلس، وكذلك عن مدينة بنغازي عاصمة إقليم برقة، وبالتالي كان (علي رضا) يخشى أن تقوم إحدى القوى الأوروبية باقتطاع هذه المنطقة، حيث شجع الهجرة الداخلية إلى هاتين المنطقتين، ووعد السكان الجُدد بمزايا متعددة، ومُنح مالية، ومع أن هذا المشروع لم ينجح؛ إلا إنه يبين بوضوح مدى وعي (علي رضا) بالأخطار المحدقة بالبلاد، وعلى وجه الخصوص إقليم برقة.

وفي سنة 1880م كان إقليم برقة مرة أخرى هدفاً لمشروع استيطاني أجنبي جديد؛ وذلك عندما اقترح الرحالة الألماني (غيرهارد رولفس) على حكومة بلاده إنشاء مستعمرة زراعية ألمانية في شمال برقة، بحيث يتم توطين أعداد من الفلاحين الفقراء الألمان – واليهود تحديدًا – في برقة (Rohlfs, 1880,29 ff) وقد أضاف الرحالة الألماني الآخر (هوغو غروتا) أن هذا المشروع سيساعد في حل مشكلة (ألمان البلطيق) وهي جالية ألمانية تقطن في مدينة (ريغا) – عاصمة جمهورية لاتفيا حاليًا – وقد عانت هذه الجالية من سياسة الحكومة الروسية، خاصة فيما يتعلق بفرض اللغة الروسية وطمس هويتها الألمانية (Grothe, 1896, 240 col 2) وقد استمر رولفس في إلحاحه على حكومة بلاده لقبول هذا المقترح؛ غير أن الحكومة الألمانية لم تبدِ اهتماماً بذلك، وعلى الرغم من فشل مقترح (رولفس)؛ إلا إنه كانت الانطلاقة الأولى لفكرة توطين اليهود في ليبيا، وبرقة تحديدًا.

وفي تسعينيات القرن التاسع عشر اشتد نشاط الحركة الصهيونية العالمية بزعامة (تيودور هرتزل 1860 – 1904)، حيث تأسست الرابطة اليهودية العالمية، وكان هدفها الأساسي إيجاد وطن قومي لليهود، وكانت هذه الرابطة تعمل بدعم حكومي بريطاني، وكان (هرتزل) يرى أن فلسطين هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي، على أساس مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ولهذا حاول التواصل مع السلطان العثماني (عبدالحميد الثاني 1876 – 1909م) للحصول على تنازل عن أراضي داخل فلسطين، وقد استغل (هرتزل) العلاقات الطيبة التي كانت تربط ألمانيا بالدولة العثمانية، حيث طلب من القيصر الألماني (وليام الثاني) سنة 1896م أن يتوسط في هذا الأمر لدى السلطان (عبدالحميد الثاني)، وقد عرض القيصر هذا الطلب على السلطان عند زيارته للدولة العثمانية سنة 1898م، محاولاً إقناع السلطان بالفائدة الاقتصادية التي ستكسبها الدولة العثمانية من نشاط اليهود التجاري، كما إن القيصر قد أبلغ السلطان باستعداد الرابطة اليهودية تسديد ديون الدولة العثمانية، وإخراجها من ضائقتها المالية، وقد رفض السلطان هذا الطلب، وفي سنة 1901م تمكن (هرتزل) من مقابلة السلطان (عبدالحميد الثاني) شخصيًا، وعرض عليه المقترحات السابق ذكرها، لكن السلطان رفضها أيضا؛ مؤكداً أن الدولة العثمانية احتضنت اليهود منذ مئات السنين، وهي مستعدة لاستقبال المزيد منهم؛ بشرط أن يأتوا كأفراد وليس كجماعات، وإنه من حق أي يهودي إن يعيش في أي مكان من أراضي الدولة بشرط الالتزام بواجبات المواطنة (Laurents, 1999, 179) ولا يوجد

أي دليل أو مصدر تاريخي يؤكد بوضوح أن السلطان (عبدالحميد الثاني) قد تنازل عن برقة أو أي جزء من ليبيا للرابطة اليهودية؛ لكن الرابطة استغلت تصريح السلطان بحق اليهود في الإقامة في أي جزء من أراضي الدولة العثمانية، كموافقة ضمنية على المشروع اليهودي.

وأمام صعوبة التوصل إلى اتفاق بشأن فلسطين؛ فقد بدأ بعض أعضاء الرابطة اليهودية يفكرون بتنفيذ مشروعهم في أية بقعة أخرى غير فلسطين؛ وقد طُرحت عدة أماكن بهذا الخصوص، منها: الأرجنتين، قبرص، كريت، مالطا، وغيرها، وكان (إسرائيل زانغويل) هو أبرز القائلين بهذا الرأي، فبعد زيارته لفلسطين، اتضح له أن الاحصائيات السكانية التي تُروّج لها الرابطة اليهودية حول قلة عدد سكان فلسطين غير صحيحة؛ مؤكدًا أن فلسطين ليست أرضًا بلا شعب، كما يُردد زعماء الرابطة، ولذلك نجده يقول: "إن لفلسطين سكانها بالفعل " (Wright, 2015, 4) ولهذا يجب البحث عن وطن آخر لليهود، لكن صوت (زانغويل) كان ضعيفًا وغير مسموع في وجود (هرتزل)؛ حيث أقر المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (سويسرا) سنة 1897م، أنه لا بديل عن فلسطين كوطن لليهود؛ ولكن بعد موت (هرتزل)، حدث انقسام داخل الرابطة اليهودية في اجتماعها سنة 1905م، ما أدى إلى انقسام أعضائها، حيث نجح (إسرائيل زانغويل) في إقناع كثيرين بفكرة توطين اليهود في شمال أفريقيا وبرقة تحديدًا، وعلى هذا الأساس ظهرت جمعية الأراضي اليهودية في لندن، كممثل للاتجاه الذي يدعو إليه (زانغويل) (Safran, 1978, 20)

إن اختيار برقة على وجه الخصوص كان يرجع إلى عدة عوامل؛ منها اعتدال المناخ، وخصوبة التربة، وكانت منظمة الأراضي اليهودية ترى أن برقة قريبة جغرافيا من فلسطين، بحيث يمكن أن تكون خطوة مرحلية للانتقال إلى فلسطين، كما أن الوجود اليهودي القديم في برقة منذ القرن الثالث قبل الميلاد، كان أيضا يوفر حجة تاريخية مناسبة لدعم المطالب اليهودية (Bsoul, 2003, 98)، وكان (زانغويل) يرى أن برقة أنسب من فلسطين؛ لأنها ليست أرضًا مقدسة لا للمسلمين ولا للمسيحيين، وبالتالي فإن المشروع اليهودي لن يواجه أية معارضة (طعمة، 2011، 17)، ومن الواضح أن المنظمات اليهودية كانت تعول كثيرًا على قلة سكان برقة، وإمكانية استيعابهم، أو إزاحتهم جنوبًا إلى المناطق شبه الصحراوية.

2. تعاون رجب باشا مع البعثات الاستكشافية اليهودية

وصل المشير – الألباني الأصل – (رجب باشا 1846 – 1908) إلى ليبيا للمرة الأولى سنة 1896م، بعد تكليفه بقيادة القوات العثمانية في البلاد (ولاية طرابلس الغرب)، (تشايجي، 1982، 211 هـ 3) ثم عُيّن والياً للبلاد سنة 1906م (كاكيا، 1946، 209)، وكثيرًا ما نجد المصادر تختلف في تحديد تاريخ توليه شؤون ولاية طرابلس الغرب؛ إذ أن بعض المصادر تشير إلى أن عهده يبدأ من سنة 1904م (الزاوي، 1970، 281)، وهذا يرجع إلى تكليفه بقيادة القوات العثمانية أولًا، ثم تعيينه والياً فيما بعد، وكان التحدي الأكبر أمامه هو مواجهة التغلغل الإيطالي في البلاد، حيث اجتاحت ليبيا أعداد من الرحالة

الإيطاليين الذين أخذوا يجوبون سواحل ليبيا من طرابلس إلى درنة، وتدفقت الشركات الإيطالية أيضا على طرابلس، كما تم فتح عدة مدارس إيطالية، بالإضافة إلى افتتاح فرع لمصرف روما في طرابلس سنة 1905، وكان واضحاً إن إيطاليا باتت تجهز للاستيلاء على البلاد (احميدة، 1998، 68 – 70).

في سنة 1906م وصل إلى مدينة طرابلس اليهودي الفرنسي (ناحوم شلوش)، مكلفاً من قبل (إسرائيل زانغويل) رئيس جمعية الأراضي اليهودية، وكان الهدف من مهمة (شلوش) هو دراسة مدى إمكانية إقامة مستوطنات يهودية في ليبيا، وقد تم استقباله من قبل الوالي (رجب باشا)، والذي وصفه (شلوش) بأنه صديق الشعب اليهودي، وامتدح معاملته الحسنة لليهود المقيمين في ليبيا، حيث أن أحدهم كان يعمل مترجماً خاصاً للباشا، كما إن (رجب باشا) قد أطلق مشروعاً لإعادة توطين يهود (الداخل) في مناطق معينة من البلاد، ووعد بدعمهم (Slouschz, 1927, Xi, 3 – 4, 10)، وكان (رجب باشا) قد نصح (شلوش) بزيارة منطقة الجبل الغربي (جبل نفوسة) الواقع جنوب العاصمة طرابلس، حيث أشار الوالي على (شلوش) بدراسة منطقة مسلاتة، والتي يرى الوالي أنها تصلح لإنشاء مستعمرة زراعية يهودية (Slouschz, 1927, 40) خاصة وأنها تحتوي على مكون يهودي أصلاً، إن هذه التوصية من طرف الوالي لا تعكس فقط تعاونه مع المشروع اليهودي؛ بل تعكس أيضا رغبته في تشتيت المستوطنات اليهودية المزمعة في مناطق متفرقة من البلاد، وعدم حصرها في منطقة واحدة.

وكان الوالي قد أوصى (شلوش) بالتنكر وانتحال شخصية باحث تركي، وارتداء ملابس تركية؛ كي لا يثير أية شكوك، وقد منح (شلوش) أيضا تصريحاً رسمياً يمكنه من خلاله التجول في كافة أنحاء البلاد؛ رغم الإحراج البالغ الذي سيسببه له هذا الإجراء؛ حيث إنه خلال تلك الفترة كان يمتنع عن منح مثل هذه التصاريح، للرحالة الأوروبيين والإيطاليين تحديدًا (Slouschz, 1927, 40).

ويبدو أن دور (رجب باشا) كان محوريًا في مخطط الجمعية اليهودية، ومن الواضح أن الأخيرة كانت ترى استحالة تنفيذ مخططاتها في ليبيا في غياب (رجب باشا)، وهذا واضح من ردة فعل (شلوش) عند علمه بموت (رجب باشا)، حيث قال: " إن موته خسارة لجماعة الاتحاد والترقي، وخسارة لنا نحن أيضا " (Schloutz, 1927, 95)

وفي عام 1908م وصلت البعثة المكلفة بدراسة منطقة الجبل الأخضر، ومدى ملائمتها لإقامة مستوطنات يهودية، وكانت هذه البعثة برئاسة (وولتر غريغوري)، وعضوية عدد من علماء الجغرافيا والجيولوجيا والزراعة، ويثني (غريغوري) على (رجب باشا) لتجاوبه مع مطالب الرابطة اليهودية، وتعاطفه مع معاناة اليهود في رومانيا وروسيا، " لقد أثبت أنه صديقًا للشعب اليهودي " ويؤكد (غريغوري) أن (رجب باشا) كان أكثر مرونة من حكومة إسطنبول، والتي رفضت أيّ تعهدٍ بمنح الحكم الذاتيّ للمستوطنات اليهودية المُزمعة، كما رفضت تشكيل قوة مسلحة لحماية المستوطنات من أيّ هجومٍ من قبل السكان المحليين (Zangwill, 1909, viii)، وقدم (رجب باشا) نصيحة للرابطة اليهودية بأن تتم الهجرة اليهودية إلى

برقة على دفعات؛ كي لا تلفت انتباه السكان المحليين، وكان يلح على مسؤولي الرابطة بضرورة الإسراع في ترحيل اليهود من أوروبا دون انتظار تسوية الأمور مع حكومة إسطنبول (Zangwill, 1909, ix)

وعند مغادرة البعثة من طرابلس إلى بنغازي، عاصمة متصرفية برقة؛ والتي كانت شبه مستقلة عن ولاية طرابلس الغرب، وفقاً للتعديلات الإدارية العثمانية الأخيرة؛ فإن (رجب باشا) قد استخدم صلاحياته كقائد عام للقوات العثمانية في شمال أفريقيا، وليس فقط في ليبيا، وذلك عندما زود البعثة اليهودية برسالة توصية إلى حاكم برقة، والذي امتثل لهذه الأوامر، وأحسن استقبال البعثة في بنغازي، وعند توجه البعثة إلى الجبل الأخضر فقد أرسل معهم عدد من رجال الشرطة لحمايتهم (Gregory, 1909, 3).

لكن يجب أن لا يُفهم أن تعاون (رجب باشا) كان مطلقاً ولا محدوداً؛ إذ كانت له بعض التحفظات، أهمها: عدم الحديث عن دولة يهودية مستقلة، فالمستوطنات اليهودية ستكون جزءًا من ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، وسكانها سيحملون الجنسية العثمانية؛ أما التحفظ الثاني فكان بخصوص القوات العسكرية والأمنية؛ حيث لا يُسمح بوجود قوات مسلحة من اليهود؛ أما التحفظ الثالث فكان بخصوص منطقة البطنان من درنة إلى الحدود مع مصر؛ حيث طلب من البعثات الاستكشافية اليهودية أن تبقى هذه المنطقة خارج نطاق المشروع اليهودي (Gregory, 1909, 4) والواقع أن حكومة طرابلس الغرب كانت تتعامل بنفس هذا الموقف مع الرحالة الأوروبيين السابقين، حيث كانت الحكومة تتشكك في أن تكون زيارات الرحالة ما هي إلا مقدمة لأطماع استعمارية، ويمكن تفهم موقف (رجب باشا) على أنه لا يريد للمستعمرة اليهودية المزمعة أن تكون لها حدود مع دول الجوار، وبالتالي تبقى هذه المستعمرة محاطة بالأراضي الليبية من جميع الجهات؛ لمنع استقلالها مستقبلًا، وأيضا للأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمنطقة البطنان، والتي تُحتم على (رجب باشا) ضرورة إبقائها ضمن أراضي ولاية طرابلس الغرب (ليبيا).

عندما وقع انقلاب الاتحاديين في إسطنبول في يوليو 1908م، بينما كانت البعثة اليهودية لا تزال في الجبل الأخضر، يقول (زانغويل) " أنها من أغرب المصادفات في التاريخ اليهودي "، وهو يرى أن هذا الانقلاب سيكون في مصلحة مشروع الجمعية اليهودية في الجبل الأخضر؛ لأن (رجب باشا) قد تم استدعاؤه إلى إسطنبول لتولي وزارة الحربية، وبالتالي سيكون في موقع أفضل لخدمة المشروع اليهودي في ليبيا، ويضيف (زانغويل) أن (رجب باشا) قبل مغادرته طرابلس بعث برسالة إلى أعضاء البعثة اليهودية يطمئنهم أنه لن يتخلى عنهم، ومن المعلوم أن (رجب باشا) لم يلبث أن مات بعد بضعة أيام من وصوله إلى إسطنبول، وقد وصف (زانغويل) موت (رجب باشا) بأنه "خسارة كبيرة للشعب اليهودي" (Zangwill, 1909, xii)

3. أسباب تعاون رجب باشا مع المشروع اليهودي

إن تجاوب (رجب باشا) مع مشروع توطين اليهود في ليبيا، وموقفه الودي من البعثات الاستكشافية اليهودية، يبدو مستغربًا من حاكم يرى بلاده تُستهدف بمشروع استيطاني؛ ومما لا شك فيه أن السياسيين لا يتخذون مثل هذه المواقف إلا لأحد غرضين؛ إما أن يكونوا مُرتشين؛ أو أن لديهم أغراضاً تكتيكية معينة، بالنسبة للرشوة، فإن (رجب باشا) عند وفاته كان شبه معدم، وقد كان على أسرته أن تسدد الديون المتراكمة عليه (Yiner, 2006, 290) ولهذا يجب البحث عن دوافع أخرى لموقفه الغريب، والتي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

إن الدافع الأول يكمن في قلق (رجب باشا) من نوايا إيطاليا بغزو البلاد (بعيو، 1975، 72 – 73)، ومن المعلوم أن النوايا الإيطالية باتت واضحة منذ أواخر القرن التاسع عشر، ثم تزايد الخطر الإيطالي أكثر منذ سنة 1905م، وكانت إيطاليا منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر قد شرعت باستكشاف البلاد، وخاصة شمال برقة، حيث وصل عدد من الرحالة الإيطاليين من أمثال (مانفريدو كامبيريو، جوسيبي هايمان، بييترو مامولي)، والذين يتضح من كتاباتهم أنهم طليعة مشروع استعماري إيطالي، ثم أخذت إيطاليا تبرم الاتفاقات مع الدول الأوروبية الكبرى للحصول على اعتراف بأولوية مصالحها في ليبيا، (بروشين، 2001، 109)، كما إن إيطاليا قد سعت أيضا خلال تسعينيات القرن التاسع عشر إلى الاستيلاء على البلاد بشكل سلمي من خلال دعم أحد وجهاء مدينة طرابلس ويدعى (حسّونة القرمانلي)، وهو ينتمي إلى الأسرة القرمانلية التي حكمت ليبيا خلال الفترة ما بين 1711 – 1835م، ويرغب باستعادة حكم أسرته، من خلال تنصيبه حاكماً للبلاد، تحت الحماية الإيطالية، بنفس الأسلوب الذي اتبعته فرنسا التي استولت على تونس سنة 1881م بذريعة حماية الباي (احميدة، 1998، 153 – 154)، وكان (رجب باشا) يرى في إقامة مستوطنات يهودية في ليبيا ضمانة لحماية البلاد من الأطماع الإيطالية، لأن هذه المستوطنات ستكون تحت حماية بريطانيا، وبالتالي لن تجرؤ إيطاليا على غزو البلاد.

كما أن إنشاء المستوطنات اليهودية سوف يُحسّن من الأوضاع الاقتصادية، ومن المعلوم أن البلاد كانت تعاني بهذا الخصوص، حيث سيقوم اليهود بافتتاح المشاريع الزراعية والصناعية التي سيكون لها أثر إيجابي على اقتصاد البلاد، بالإضافة إلى توفير فرص عمل لكثير من المواطنين، كما أن الموانئ التي تخطط الرابطة اليهودية لإنشائها ستعود بالفائدة على البلاد، ومن جهة أخرى فإن رأس المال اليهودي بحسب اعتقاد (رجب باشا) سيكون منافسًا قويًّا لرأس المال الإيطالي، وقد جاء هذا المشروع في وقت كانت فيه إيطاليا قد تغلغلت في البلاد على نحو سافر، حيث افتتحت الشركات الإيطالية في مناطق مختلفة من البلاد، وحصل الإيطاليون على حقوق التنقيب عن المعادن، ثم جاء افتتاح فرع لمصرف روما في ليبيا ليزيد من تأكيد سيطرة إيطاليا على المجال الاقتصادي، وكان المصرف يمنح قروض للفلاحين والرعاة بضمان أراضيهم، مما يسمح له بالاستيلاء على هذه الأراضي عند عجز المواطنين عن دفع الأقساط (احميدة، 1998، 68 – 71)

إن الاستعانة برأس المال اليهودي قد جاءت بعد أن تأكد (رجب باشا) من عجز الميزانية العثمانية عن مواجهة التفوق الاقتصادي الإيطالي في ليبيا؛ فعلى الرغم من إصراره على فتح فرع للمصرف الزراعي العثماني في طرابلس لمواجهة مصرف روما؛ وقد تم ذلك فعلًا؛ إلا إن أداء المصرف العثماني ظل محدودًا (Yiner, 2006, 196 – 198)، وبالتالي فإن (رجب باشا) لم يجد بُدًّا من التعاون مع المنظمة اليهودية كحل أخير في مواجهة التغلغل الاقتصادي الإيطالي.

ومن جهة أخرى فمن الواضح أن تعاون (رجب باشا) مع المشروع اليهودي قد جاء بطلب من بريطانيا التي كانت تدعم المشروع اليهودي لعدة أسباب منها النفوذ القوي لعائلة (روتشيلد) اليهودية داخل أروقة السياسة البريطانية، وأيضا سعي بريطانيا إلى وقف تيار الهجرة اليهودية القادم من شرق أوروبا، وذلك بتوجيهه نحو ليبيا (Almagor, 2022, 48) وكانت لرجب باشا اتصالات مع بريطانيا، منذ سنة 1904م، عندما كانت بريطانيا تخطط لتنفيذ انقلاب لخلع السلطان (عبدالحميد الثاني)، بواسطة جماعة الاتحاد والترقي، وكان لرجب باشا دور محوري في هذا المخطط، إذ كان من المفترض أن تتجمع قوات الثوار في طرابلس الغرب، ثم تتجه إلى سالونيك (في اليونان حاليًا) ومنها تنطلق إلى إسطنبول، غير أن هذا المخطط قد باء بالفشل (Hanioğlu,2001, 17 – 23)، وكانت بريطانيا تؤيد المشروع اليهودي، ويُرجَّح أنها هي من طلبت من صديقها (رجب باشا) أن يتعاون مع منظمة الأراضي اليهودية، ومما يؤكد هذه الفرضية أن (هاري جونستون) القنصل البريطاني في تونس، والذي زار طرابلس ويبدو أنه التقى برجب باشا، قد بعث برسالة إلى رئيس الجمعية اليهودية (إسرائيل زانغويل) مؤكدًا أن (رجب باشا) سيتعاون مع المنظمة، ويقدم لها كل التسهيلات (المسيري، د ت، 484)، وهذا يؤكد أن بريطانيا هي من مهدت الطريق للجمعية اليهودية.

وثمة سبب آخر يتعلق بازدياد النفوذ اليهودي في حكومة (رجب باشا)، حيث تولى بعض اليهود مناصب إدارية، وباتوا مقربين جداً من (رجب باشا)، فقد أشار (شلوش) إلى وجود بعض الأطباء العسكريين الأتراك المنفيين إلى ليبيا، بسبب الشك في انتمائهم لجماعة الاتحاد والترقي، وأن كثير من هؤلاء المنفيين كانوا من اليهود (Schloutz, 1927, 47) كما أشار شلوش أيضا إلى شخص يهودي يعمل كمترجم خاص لرجب باشا ويدعى (يعقوب كريجر) وهو يهودي، وتحديدًا من مدينة سالونيك، والتي تعد المعقل الرئيسي لجماعة الاتحاد والترقي، وقد بات (كريجر) مقرباً من الوالي، ولعب دوراً مهماً في تسهيل مهمة البعثات اليهودية في ليبيا (الدجاني، د ت، 167)، وقد كان كريجر على علاقة وثيقة بالمنظمات اليهودية في أوروبا، وكان يتواصل مع (إسرائيل زانغويل) (رئيس جمعية الأراضي اليهودية)، وقد وصفه الأخير بأنه من أكثر المتحمسين لمشروع توطين اليهود في الجبل الأخضر (محمود، 1983، 167)

ويمكننا أيضا إضافة أسباب شخصية خاصة برجب باشا نفسه؛ إذ لا يُستبعد أن تكون له طموحات شخصية في الاحتفاظ بالحكم في ليبيا، والانفصال عن الدولة العثمانية، والتي كانت في حالة من الضعف، وبالتالي فإن الدعم الاقتصادي من الجمعية اليهودية والدعم السياسي والعسكري من بريطانيا سيمكّنه من

الاستقلال عن العثمانيين، ومما يؤكد هذا الاتجاه أن (رجب باشا) قد سعى إلى استقطاب الضباط الأتراك المنفيين في ليبيا، وكانت حكومة إسطنبول تحكم عليهم بالإقامة في منطقة فزان تحديدًا؛ من أجل عزلهم وإبعادهم، لكن (رجب باشا) كان يخالف تعليمات حكومة إسطنبول ويسمح لهؤلاء الضباط بالإقامة في مدينة طرابلس الغرب، بل ويسمح لهم أيضا بالسفر إلى أوروبا دون علم السلطات العثمانية (اوزتونا، 1990، 209) وهذه كلها مؤشرات تؤكد أن (رجب باشا) بات يتصرف وكأنه مستقل عن الدولة العثمانية؛ وبالتالي فإن تعاونه مع المنظمات اليهودية المدعومة من بريطانيا ربما يكون بهدف تأمين نفسه وليس تأمين البلاد، كما يُلاحظ أيضا تردي علاقة (رجب باشا) بالسلطة المركزية في إسطنبول، وكان يخشى عزله في أية لحظة، إذ أن تعيينه في طرابلس الغرب كان نوعًا من العقوبة أو النفي، كونه ينتمي إلى جماعة الاتحاد والترقي، كما أن له اتصالات مع الأمير (محمود جلال)، صهر السلطان (عبدالحميد الثاني) والذي انشق عن السلطان وهرب إلى بريطانيا ليقود حركة تهدف إلى عزل السلطان (عمر، 2005، 134)، ومما زاد من احتمال عزله عن ولاية طرابلس هو تلك المساعي التي بذلتها الحكومة الإيطالية لدى حكومة إسطنبول حيث إن موقف (رجب باشا) المعارض لازدياد النفوذ الإيطالي في ليبيا، قد جعل الحكومة الإيطالية تسعى إلى عزله عن ولاية طرابلس الغرب؛ فقد كان (رجب باشا) يحرض الأهالي على عدم بيع أراضيهم للبنك الإيطالي؛ كما أوعز إلى مصلحة التسجيل العقاري بالمماطلة في تسجيل عقود البيع بحجة أن بنك روما لم يستوفِ الشروط القانونية لممارسة عمله في البلاد؛ ولهذا أخذت إيطاليا تضغط على حكومة إسطنبول من أجل عزل (رجب باشا)، بِحُجة أنه يسيئ إلى العلاقات بين البلدين (برّو، 1960، 358 – 361).

كل هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء موقف (رجب باشا) المؤيد للمشروع اليهودي في ليبيا، إن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا هو: هل تمكّن اليهود من تجنيد (رجب باشا) لخدمة مشروعهم في ليبيا؟ أم أن (رجب باشا) هو من سعى إلى توظيف المشروع اليهودي لمصلحته الشخصية؟ الواقع أن (رجب باشا) قد سلك مسلكًا مُشينًا بتعاونه مع جهة أجنبية لتنفيذ مشروع – لو تمّ – كان سيهدد أمن واستقرار بلاده، لكن التفسير الأكثر قبولاً هو أن كلا الطرفين (المنظمة اليهودية ورجب باشا) كان يعلم ما يدور بذهن الآخر، وكلاهما أراد توظيف الآخر لخدمة مصالحه.

خاتمة واستنتاجات:

بعد أن أنهت البعثة اليهودية برئاسة (وولتر غريغوري) عملها في ليبيا فقد سلمت تقريرها إلى (إسرائيل زانغويل) رئيس جمعية الأراضي اليهودية، وكانت نتيجة التقرير سلبية؛ مفادها أن منطقة الجبل الأخضر تعاني من مشكلة واحدة وهي نقص المياه؛ وذلك بسبب انعدام وجود الأنهار، وصعوبة استخراج المياه الجوفية لبعدها عن سطح الأرض، وبما أن المشروع الاستيطاني كان مخططاً له أن يكون زراعياً بالدرجة الأولى؛ فقد تم صرف النظر عن منطقة الجبل الأخضر وليبيا عمومًا؛ والجدير بالذكر أن (ناحوم شلوش) قد تقدم بتقرير معاكس مفاده أن ليبيا هي أنسب مكان لتوطين اليهود، لكن منظمة الأراضي اليهودية

اعتمدت تقرير (غريغوري)، حيث جاء في النشرة السنوية للجمعية هذا العنوان: "برقة غير صالحة للاستعمار... مؤسف وغير متوقع" (The Zionist, Vol 3, 21).

لا يمكن الحديث عن نتائج مباشرة لهذا المشروع؛ وذلك لأنه فَشِل أو بالأصح انتهى قبل أن يبدأ، ولكن الظروف والأحداث التي أحاطت بهذا المشروع قد عكست صورة الأوضاع السياسية في ليبيا خلال الفترة ما بين سنتي 1906 – 1908، ومن خلال العرض السابق يمكننا استنتاج الآتي:

- إن ليبيا ومنطقة الجبل الأخضر تحديدًا كانت هدفاً لمخططات استيطانية أجنبية منذ القرن التاسع عشر وحتى نهاية العهد العثماني، ويعود ذلك إلى خصوبة المنطقة، واعتدال مناخها، وقلة عدد سكانها.
- يعكس هذا المشروع مدى ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن حماية ولاياتها.
- أما بخصوص موقف السلطان (عبدالحميد الثاني)، والذي اتهمه كثير من الكتاب بأنه قد تنازل عن الجبل الأخضر لليهود، فإنه لم يثبت – حتى الآن على الأقل – أنه قد وقّع على فرمان بهذا الخصوص، وأن موقفه من توطين اليهود في الدولة العثمانية كان واضحاً؛ وهو أن يتم استيعابهم كأفراد وليس كجماعات وأن يتوزعوا على كافة ولايات الدولة كمواطنين وليس كمستوطنين.
- لقد اتسم موقف الوالي رجب باشا من المشروع اليهودي بالتعاون إلى حد بعيد؛ بداية باستقبال البعثات الاستكشافية، ومروراً بحماية هذه البعثات، وانتهاءً بتقديم النصائح لأفراد هذه البعثات.
- إن تعاون (رجب باشا) مع المشروع اليهودي يمكن إرجاعه لعدة أسباب نلخصها في الآتي:

أ – اعتقاده بأن المستوطنات اليهودية المدعومة من بريطانيا تمثل رادعاً للأطماع الإيطالية.

ب – رغبته في الاستفادة من المشاريع المزمع إقامتها من قبل الجمعية اليهودية، مثل الموانئ والمزارع، والمصانع والطرق، كما كان يعتقد أن رأس المال اليهودي هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة نشاط مصرف روما في ليبيا.

ج – علاقته الجيدة مع بريطانيا، والتي هي الراعي الأول للجمعيات اليهودية.

د – طموحه الشخصي في الاحتفاظ بالحكم في ليبيا، والاستقلال عن الدولة العثمانية، وهو أمر غير مستبعد؛ قياساً على سلوكه في إدارة البلاد، ومن خلال موافقته على المشروع اليهودي كان سيحصل على الدعم المادي من اليهود، والدعم السياسي والعسكري من بريطانيا.

المراجع:

باللغة العربية:

- بعيو، م. (1975) المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا، الدار العربية للكتاب، تونس/ طرابلس.

- احميدة، ع. (1998) المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا 1830 – 1932م، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- اوزتونا، ي. (1990) تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، مراجعة محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول.
- برّو، ت. (1960) العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العالية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة.
- بروشين، ن. (2001) تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى سنة 1969م، ترجمة عماد حاتم، ط2، دار الكتب المتحدة، بيروت.
- تشايجي، ع. (1982) الصراع التركي الفرنسي في الصحراء، ترجمة علي اعزازي، تقديم طاهر الجراري، مراجعة محمود الاسطى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- الدجاني، أ. (د. ت) ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو ولاية طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني 1882 – 1911م، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة.
- الزاوي، ط. (1970) ولاة طرابلس من الفتح العربي حتى نهاية العهد التركي، دار الفتح، طرابلس.
- طعمة، م. (2011) حين منح خليفة المسلمين شرق ليبيا لليهود (مقال في) صحيفة العرب، العدد 11541، الصادر بتاريخ 17/ 12/ 2011، لندن.
- عمر، ي. (2005) أسباب خلع السلطان عبدالحميد الثاني 1876 – 1909م، دار الكتاب الثقافي، (د. م).
- كاكيا، أ. (1946) ليبيا في العهد العثماني الثاني، ترجمة يوسف العسلي، دار احياء الكتب العربية، (د.م).
- محمود، أ. ع. (1983) مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، المجلس الوطني للعلوم والفنون والآداب، الكويت.
- المسيري، ع. (د. ت) اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السادس، (د. م).

باللغات الأجنبية

- Almagor, L. (2022) Beyond Zion The Jewish Territorialist Movement, the Littman library of Jewish civilization, London.
- Bsoul, L. (2003) Palestine and the Great Feud A Land Torn in Two, Zionism and the Infancy of Ideas (1897–1918, Maryland.
- Della Cella, P. (1822) Narrative of Expeditious to Explor of Northern Coast of Africa from Tripoli Barbary, London.
- Dingli, A. (1878) Maltese Emigration to Cyprus, Governor Printing Office, Malta.
- Gregory, W. (1908) Report on the Work of the Commission Sent Out by the Jewish Territorial Organization Under the Auspices of the Governor-General of Tripoli to

Examine the Territory Proposed for the Purpose of a Jewish Settlement in Cyrenaica, London.

- Grothe, H. (1896) Eine Besuch in Bengasi (in) Globus Zeit, Band 70, Braunschweig.
- Hanioğlu, M. (2001) Preparation for a Revolution The Young Turks, 1902-1908, Cambridge.
- Laurents, H. (1999) questions de la Palestine, Tome 1, Paris.
- Ritter, K. (1822) Die Erdkunde in Verhältniß zur Natur und zur Geschichte des Menschen, Berlin.
- Rohlfs, G. (1880) . Kolonization in Cyrenaika, Uncere Zeit (Journal), Zwiter Band, Leipzig.
- Safran, N. (1978) Israel the embattled ally, Harvard University press.
- Slouschz , N. (1927) Travels in North Africa, Philadelphia.
- The Zionist Journal, Vol 3, 1909, London.
- Wright, C. (2015) Fact and Fable: Arab Israeli Conflict, Routledge, New York.
- Yiner, A. (2006) Müşir Recep Paşa'nın Askeri ve Siyasi Hayatı (1842-1908), Doktora Tezi, Istanbul Üniversitesi.
- Zangwill , I. (1908) Preface (in) Report on the Work of the Commission Sent Out by the Jewish Territorial Organization Under the Auspices of the Governor-General of Tripoli to Examine the Territory Proposed for the Purpose of a Jewish Settlement in Cyrenaica, London.